

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللقاء الثاني في التعليق على باب: (مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ)، مِنْ كِتَاب: (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ)؛ لِابْنِ عَبْدِالْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، تَعْلِيْقُ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْمُدْرَسِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ: أَبِي أَنَسٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَذْحَلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ.

[القارئ]: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَوَالِدَيْنَا وَالسَّامِعِينَ، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ فِي كِتَابِهِ: "جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ":

[المتن]: عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمُ رَاحَةَ الْفَقْهِ بِأَنفِهِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عُرُوبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْإِخْتِلَافَ فَلَا تَعُدُّهُ عَالِمًا، وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمُ أَنْفَهُ الْفَقْهُ، وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اخْتِلَافَ الْقُرَاءِ فَلَيْسَ بِقَارِئٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ فَلَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِاخْتِلَافِ النَّاسِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَدَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ أَوْثَقُ مِنَ الَّذِي فِي يَدِهِ، وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقَلُّهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَأَمْسَكَ النَّاسِ عَنِ الْفُتْيَا أَعْلَمُهُمْ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ.

[التعليق]: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ: فهذه الآثار (التي سمعناها وسمعتُموها جميعًا) فيها الحثُّ أولًا بِدَلَالَةِ الْمَفْهُومِ عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ وما ذاك إِلَّا لِأَجْلِ أَنْ تَتَّسِعَ مَدَارِكُهُ، وتزِيدَ

معارفهُ، فلربما اكتفى بما بين يديه من العلم ويرى أن هذا هو الصواب، ويرد ما عداه! ولو اطلع على ما عداه من الأقوال لراى فيها _ربما_ ما هو أرجح ممّا هو عليه من حيث التعليل، فقد يتحدّد الدليل ويختلف منزع المستدلين، ولكلّ جهة هو مؤلّيها، يكون هذا له وجهة في الاستنباط، وذاك له وجهة، فحينما لا يطلع على الأقاويل الأخرى واختلاف العلماء في الفقه (في النصوص) ويعرف اختلاف ماخذهم؛ لماذا هذا ذهب إلى كذا؟ ولماذا هذا ذهب إلى كذا؟ هذا يعرفه متى؟ حينما يعلّل العالم وجهه مأخذه للحكم، فإذا اطلع على الوجوه التي تسببت في هذا الخلاف يعلم حينئذ أن الذي بين يديه _في بعض الأحيان_ أضعف ممّا لم يطلع عليه، وبسبب هذا القصور يرد ما هو أوثق! ويعمل بما في يديه أو بما بين يديه ممّا اطلع عليه؛ لا لشيء إلا لأنّه هو الذي علمه فقط! فحينما تتسع المدارك بالوقوف على اختلاف الفقهاء ومنازعتهم في الاستدلال حينئذ يكون أوثق عند الناس في فتياه؛ لأنّه يكون قد اطلع على الأقوال، وعرف منازع أصحابها، فما وصل إلى الذي بين يديه إلا بعد دراسة وإطلاع وتمحيص، فيكون حينئذ أوثق، وهذا معنى قول آخر أثر وقفنا عليه في القراءة الآن، الذي قال فيه المصنّف: (عن عثمان بن عطاء عن أبيه _يعني: عطاء_ قال: "إنّه لا ينبغي لأحد أن يفتي حتّى يكون عالمًا باختلاف الناس؛ لماذا؟ لأنّ من لم يكن كذلك يرد من العلم ما هو أوثق من الذي في يده؛ يعني: يرد ما هو أرجح وأقوى ممّا هو في يده، فإذا هذه دلالة أيش؟ دلالة المفهوم.

دلالة المنطوق: الحث على الاطلاع على أقاويل الفقهاء في المسائل، وسبرها، ومعرفة أدلّتها، ثم بعد ذلك تفتي.

فمن لا يعرف هذا؛ يصحّ له أن يفتي الناس؟ لا يصحّ له أن يفتي الناس، لا يصحّ له أن يفتي الناس.

فكيف بالذي لا يحسن قراءة سطرين؟! هذه مصيبة.

وَكَيْفَ بِالَّذِي يَجُرُّ الْفَاعِلَ؟! وَيَرْفَعُ الْمَجْرُورَ؟! وَيَرْفَعُ الْمَفْعُولَ؟! وَيَنْصِبُ الْفَاعِلَ؟! هَذَا يَصْلُحُ أَنْ
يَكُونَ مُفْتِيًّا؟! هَذَا إِذَا جَاءَتْ تَوْجِيهَاتُ الْعُلَمَاءِ وَاخْتِلَافَاتُ الْفُقَهَاءِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْجُمَلِ (فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَيُنَيَّتْ عَلَى الْإِعْرَابِ؛ يَضِيعُ، لَا يَعْرِفُ شَيْئًا.

وها أنتم ترون في هذه الأزمنة المتأخرة تصدّر هؤلاء!

لا، والفِتْنَةُ بِجَعْلِهِمْ "مَشَايخ"!!!

وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ فِتْنَةٌ أَنْ يُقَالَ لِلنَّاسِ: "ارْجِعُوا لَهُمْ"!!!

هذه بليّةٌ عظيمةٌ، هذه مصيبةٌ عظيمةٌ، هذا غشٌّ للأمة، وغشٌّ قبل ذلك لِدِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، هذا
غشٌّ للأمة (أُمة الإسلام)، وغشٌّ قبل ذلك لِدِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ أَنْ يُحَالَ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ.

فأنتم الآن انظروا كلام علماء الإسلام مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَإِلَى مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ الْمَتَأَخَّرَةِ،
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ.

فَمَنْ (لَمْ يَعْرِفِ الْاِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمَ الْفِقْهَ): والمراد بهذا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْبَاحِثُ وَالطَّالِبُ لِلْحَقِّ
وَالْمُتَعَلِّمُ (الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ)؛ أَوَّلًا: يُسَهِّلُ عَلَيْكَ الطَّلَبُ، فَتَقْرَأُ عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ، أَوْ عَلَى اخْتِيَارٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ يُوسِّعُ لَكَ فِي الْاِخْتِلَافِ، فَتَقْرَأُ عَلَى رَوَايَتَيْنِ أَوْ قَوْلَيْنِ، ثُمَّ تَوْسِّعُ فِي الْخِلَافِ، فَتَنْتَهِي إِلَام؟ إِلَى
هَذَا؛ (مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخِلَافَ لَمْ يَشْمَ) أَيُّش؟ الْفِقْهَ، يَعْنِي: الْفِقْهُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ تَعْرِفَ (أَوَّلًا) الدَّلِيلَ، وَوَجْهَ
الاستدلالِ، ثُمَّ الْمَخَالَفَ، وَوَجْهَ استنباطه، وَإِنْ كَانَ لَهُ دَلِيلٌ آخَرُ؛ عَرَفْتَ وَجْهَ مَأْخِذِهِ، ثُمَّ تَعْرِفُ عِلَّتَهُ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَقَارَنُ بَيْنَ هَذِهِ، وَتُقَدِّمُ لِلنَّاسِ الَّذِي يَصِحُّ.

ولذلك قال النَّاصِحُ لَنَا مُبَيِّنًا مِنْهَجَ عُلَمَائِنَا لَنَا الَّذِي وَضَعُوهُ وَأَسَّسُوهُ، يَقُولُ:

كَفَى الْخَلْقَ بِالكَافِي وَأَفْنَعَ طَالِبًا ... بِمُقْنَعِ فَقِهِ فِي كِتَابٍ مُطَوَّلٍ

وَأَغْنَى بِمُعْنَى الْفَقْهِ مَنْ كَانَ بَاحِثًا ... وَعُمْدَتُهُ مَنْ يَعْتَمِدُهَا يُحْصِلُ

فَالْعُمْدَةُ لِعَتِمَادِكَ أَوَّلَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَتَفْقَهُ، ثُمَّ تَوْسَعُ فَتَأْتِي إِلَى الْكَافِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَطَوَّرُ وَتَعْلَمُ الْخِلَافَ أَيْنَ؟ مُعْنَى الْفَقْهِ، أَغْنَاكَ بِهِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ: "لَمْ تَطِبْ نَفْسِي بِالْفُتْيَا حَتَّى قَرَأْتُ أَوْ قَالَ: اقْتَنَيْتُ الْمُعْنَى"؛ هَذَا فِي ذَاكَ الزَّمَانِ.

وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الْمَسْلُوكُ، فَكَيْفَ بِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَقْفِزَ إِلَى مَرْتَبَتِهِمْ وَيَتَسَنَّى مَنَزِلَتَهُمْ وَلَمْ يَرَقِّ السُّلْمَ الَّذِي رَقَوْا؟! أَتُرُونَهُ يَصِلُ؟! أَسَأَلُكُمْ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَّا أَتُرُونَهُ يَصِلُ؟! تَرَوْنَ هَذَا يَصِلُ؟! لَأَنَّا لَقْنَا مِنَ الصَّغَرِ:

فَإِنْ أَرَدْتَ رُقِيًّا نَحْوَ رُتَبَتِهِمْ ... وَرُمْتَ مَجْدًا رَفِيعًا مِثْلَ مَجْدِهِمْ

فَاعْمَدِ إِلَى سُلْمِ التَّقْوَى الَّذِي نَصَبُوا^(٤٨) ... وَاصْعَدْ بِجِدٍّ وَعَزْمٍ مِثْلَ عَزْمِهِمْ

وَفِي أَوَّلِهِ:

وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْتِثَاءَ لَهُ ... لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ قَدْرَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْمَ

فَإِذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَدَّى لِهَذَا الْبَابِ أَوْ يُحَالَ عَلَيْهِ وَيُقَالَ لَهُ: "فَقِيهٌ" حَتَّى تَكُونَ الْخَشْيَةُ مُتَأَصِّلَةً فِي قَلْبِهِ، وَمُتَجَدِّدَةً فِيهِ، فَيَخَافُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَّا، فَلَا يَجْرُؤُ عَلَى الْفُتْيَا إِلَّا بَعْدَ مَا يَرَى مَخْرَجَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَفَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ (هَذَا الثَّانِي)، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَيُّش؟ يَعْرِفُ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ وَأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ، فَرُبَّمَا رَدَّ مَا هُوَ أَقْوَى مِمَّا فِي يَدِهِ أَوْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ؛ وَهَذَا بِسَبَبِ قُصُورِهِ.

^{٤٨} _ هَذَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "الْعِلْمُ الْخَشْيَةُ؛ الْبَارِحَةُ".

وعلى كلِّ حالٍ؛ لنَعْلَمَ جَمِيعًا شَيْئًا وَاحِدًا رَدَّدَهُ الْعُلَمَاءُ يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَيَسْلُكُ بِنَا دَرْبَ النَّجَاةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، يُقَالُ أَوْ يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ: طَالِبُ الْعِلْمِ (طَالِبُ الْعِلْمِ) الْمُتَمَكِّنُ إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ (طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَمَكِّنُ إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ) وَحَرَصَ عَلَى إِصَابَةِ الْحَقِّ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: فَهَذَا غَالِبًا اللَّهُ يُوفِّقُهُ.

هذه العباراتُ أو الجُمْلُ هكذا؛ طَالِبُ عِلْمٍ، مُتَمَكِّنٌ، يعني: عنده آلةُ الْعِلْمِ (هذا أوَّلًا)، إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ وَكَانَتِ النِّيَّةُ أَشْيَ؟ صَالِحَةً، عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ يَرِيدُ إِصَابَةَ الْحَقِّ، فهذا يقولُ شيخُ الْإِسْلَامِ: غَالِبًا مَا يُوفِّقُ لِإِدْرَاكِ الْحَقِّ، فَاسْأَلِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْلُكَ بِنَا وَبِكُمْ جَمِيعًا هَذَا الْمَسْلَكَ وَأَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا.

إِذَا فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا السَّبِيلِ وَالسُّلُوكِ فِيهِ كَمَا سَلَكَ أَوَائِلُنَا، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرَ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَأَمْسَكَ النَّاسِ عَنِ الْفُتْيَا أَعْلَمُهُمْ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ.

[التَّعْلِيلُ]: هذا صحيحٌ، وهذا فائِدَتُهُ متى؟ حينما تَسْمَعُونَ أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَمَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ (الَّذِينَ أَشْرْنَا إِلَى بَعْضِهِمْ)؛ يَقُولُ: الْمَسْأَلَةُ إِجْمَاعٌ! إِجْمَاعٌ! وَتَأْتِي وَإِذَا الْمَسْأَلَةُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ قَوْلٍ! مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْإِجْمَاعُ؟! مِنْ جَهْلِهِ، وَقِلَّةِ اطَّلَاعِهِ، جَاءَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَهْلِهِ وَقِلَّةِ اطَّلَاعِهِ، وَإِلَّا مَا الَّذِي يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ (كَمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ عَنْ شَيْخِ إِسْلَامِ زَمَانِنَا الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ): "يُرَاجَعُ"، يَعِيبُنِي هَذَا؟! مَا يَعِيبُنِي، مَا يَعِيبُنِي أَبَدًا، بَلْ هَذَا الَّذِي يُبْرِئُ ذِمَّتِي عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ عِنْدَ مَنْ سَأَلَنِي، مَا الْمَانِعُ أَنْ آخُذَ سُؤَالَهُ وَأَحْطُهُ فِي جَيْبِي وَأَقُولَ لَهُ: بُكْرَةً؟! إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ مَانِعٌ بِأَنْ أَخْصَهُ بِالْجَوَابِ، لَا يَصْلُحُ أَمَامَ النَّاسِ؛ أَقُولُ لَهُ: بُكْرَةً، وَأُعْطِيهِ إِيَّاهُ بَعْدَ أَنْ أَرَى مَخْرَجِي فِي فُتْيَايَ، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ.

مَالِكُ يَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ: أَنَا جِئْتُ مَرْسُولًا إِلَيْكَ، مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ؟ قَالَ: رُحْ قُلْ لَهُمْ: مَالِكُ يَقُولُ: "لَا أَعْلَمُ" ! الله أكبرُ! "رُحْ" ! إِمَامُ الْمَدِينَةِ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ ! وَإِلَى الْيَوْمِ يُذَكِّرُ الْإِمَامُ مَالِكُ بِمَا نَعَرَفُهُ جَمِيعًا، يَعْنِي: الْإِنْسَانُ هَذَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَفِيزَهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ (لَا أَدْرِي)؛ قَالَ: مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ؟! أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ؟! قَالَ: رُحْ قُلْ لَهُمْ: مَالِكُ يَقُولُ: "أَنَا مَا أَدْرِي"!!! هَذَا صَعْبٌ؟! مَا هُوَ صَعْبٌ.

فَمَنْ اسْتَصْحَبَ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ "لَا أَدْرِي" بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ، وَنُبِّلَ عِنْدَ النَّاسِ، وَوُثِقَ النَّاسُ بِهِ، مَنْ قَالَ: "لَا أَدْرِي" بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ وَنُبِّلَ عِنْدَ النَّاسِ وَوُثِقَ النَّاسُ بِهِ، وَالثَّلَاثُ _أَهْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ_ كَسَرَ نَفْسَهُ، كَسَرَ الْعُجْبَ فِي نَفْسِهِ، فَالْعُجْبُ مُصِيبَةٌ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_، وَالْعُجْبُ شَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ، فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا.

وَكَسَرُ النَّفْسِ فِي هَذَا الْبَابِ بِأَنْ تَسْلُكَ بِهَا هَذَا السَّبِيلَ وتقول: "لَا أَدْرِي"، مَا تَدْرِي؟! أَنْتَ تَخَرَجْتَ مِنَ الْكَلِيَّةِ وَأَنْتَ مَا تَدْرِي؟! نَعَمْ، تَخَرَجْتَ مِنَ الْكَلِيَّةِ وَأَنَا "مَا أَدْرِي"، مَا فِيهِ مُشْكِلَةٌ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَالِمُ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، يَعْنِي: يَعْرِفُ الْأَحَادِيثَ، فَيَقْرَأُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَمَا مَعْنَاهُ، وَيَقِفُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْحَدِيثَ، وَهَذَا الْحَدِيثَ، فَيَعْرِفُ الْمُخْتَلَفَ وَالْمُؤْتَلَفَ، وَالْمَرْفُوعَ وَالْمَوْقُوفَ، وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ، وَيَعْرِفُ وَجُوهَ التَّعَارُضِ، وَجُوهَ التَّرْجِيحِ فِي التَّصْحِيحِ، وَيَعْرِفُ وَجُوهَ التَّعَارُضِ وَالتَّرْجِيحِ فِي الْفُتْيَا، هَذَا عَلَى أُصُولِ الْحَدِيثِ مَبْنِيٌّ (الْأَوَّلُ)، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أُصُولِ الْفِقْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ مُكْنَةً فِي عِلْمِ آلَةِ الْإِتِبَاتِ الْعَرْشِ (الدَّلِيلِ)، كَيْفَ يُثْبِتُهُ؟ لِأَنَّ الْفَقْهَ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُتَوَاتِرٌ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ، مَعْرِفَةُ نَاسِخِهِ مِنْ مَنْسُوخِهِ، وَالتَّعَارُضِ فِي ذَلِكَ، وَأَوْجُهُ الْجَمْعِ؛ هَذَا لَا بَدَّ مِنْهُ، فَإِذَا لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا فِي الْأَصْطِلَاحِ يَعْرِفُ بِهِ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ؛ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَرِشُهُ مَبْنِيًّا عَلَى قَوَائِمٍ ضَعِيفَةٍ (الَّذِي هُوَ الْفَقْهُ)، وَمَنْ كَانَ يَدْرِي الْحَدِيثَ صِحَّةً وَضَعْفًا وَلَا يُحْسِنُ الْاسْتِنْبَاطَ؛ فَهَذَا لَيْسَ بِفَقِيهِ

بَنَصُّ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَخْرُجُ بَعْضُ النَّاسِ، يَقُولُ: هَذَا يَطْعَنُ فِي الْمُحَدِّثِينَ!!! خِبْتُ وَخَسِرْتُ، وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَنْتَسِبَ إِلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ، كَيْفَ أَقُولُ هَذَا؟ هَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"، لَا يَفُوتُهُ _بِإِذْنِ اللَّهِ_ أَجْرُ الْحَمَلِ وَالتَّبْلِيغِ وَالِإِسْمَاعِ وَالِإِقْرَاءِ، دَيْدَنُهُ ضَبْطُ الرَّوَايَةِ وَاتِّقَانُ الرَّوَايَةِ، وَالتَّفَقُّهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، هَذَا بَابٌ آخَرُ، لَكِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْحُسَيْنَيْنِ هُوَ الَّذِي قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْقَهُ مِنْهُ"، وَلِذَلِكَ _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_ فَازَ فَقَهَاءُ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِالْمُرْتَبَةِ الْعُلْيَا؛ أَحْمَدُ، وَشَيْخُهُ، وَشَيْخُ شَيْخِهِ مِنَ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ (أَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ وَمَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

وهكذا بَقِيَّةُ الْمُحَدِّثِينَ الْفُقَهَاءِ كَالْبُخَارِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَأَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهَ، وَعُدَّ... هَؤُلَاءِ فَقَهَاءُ أَهْلِ الْحَدِيثِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ نَذْكُرْ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ التَّمْثِيلُ، لَا الْحَصْرُ.

فَيَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: "وَهَلِ الْفَقْهُ إِلَّا الْحَدِيثُ؟! " فَالَّذِي لَا يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ مِثْلُ مَا قَالَ الْمُتَقَدِّمُ: "الْحَدِيثُ لَا يُتَبَيَّنُ فَقْهُهُ حَتَّى تُجْمَعَ طُرُقُهُ"، يَعْنِي: تَجْمَعُ الْأَفَاظُ، فَإِذَا جِئْتَ بِجَمْعِ الْأَلْفَاظِ رُبَّمَا وَجَدْتَ كَلِمَةً زَائِدَةً فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَغْنَتْكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّكْلُفَاتِ الَّتِي تَقُولُ فِيهَا: لَعَلَّ الْمُرَادَ كَذَا! لَعَلَّ الْمُرَادَ كَذَا! نَعَمْ.

[الْمَثْنُ]: وَعَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرَ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ مَنْ فَقِهَ بِالْقُرْآنِ وَعَرَفَ مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ.

[التَّعْلِيلُ]: اللَّهُ أَكْبَرُ، نَعَمْ؛ لِأَنَّ الْفَقِيهَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْدَى عَدُوِّ الشَّيْطَانِ، يَعْرِفُ مَكَايِدَهُ، وَدَسَائِسَهُ، وَطُرُقَهُ، وَحِيلَهُ، فَيَحْمِي نَفْسَهُ بِحِمَايَةِ اللَّهِ لَهُ، ثُمَّ يَحْمِي غَيْرَهُ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي

حديثٍ وَفِيهِ ضَعْفٌ: "فقيهٌ واحدٌ أَشَدُّ على الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ"؛ وما ذلك إِلَّا لِأَنَّ الفقيهَ _كَمَا قُلْنَا_ يَعْرِفُ طَرَائِقَ الشَّيْطَانِ، ودَسَائِسَهُ، ومَكَايِدَهُ، فَيَحْذَرُهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِمَا قَدَفَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نُورِ الْعِلْمِ، فَيُحَارِبُ إبليسَ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ مَكَايِدِهِ، ودَسَائِسِهِ، وَحَبَائِلِهِ، وَطَرَائِقِهِ.

فالفقيهُ هو مَنْ قرَأَ هذا الْكِتَابَ، وَتَفَقَّهَ فِيهِ، وَعَرَفَ مَكِيدَةَ إبليسَ، فَكَمَ وَكَمَ مِمَّنْ يَصْطَادُهُمْ إبليسُ وَهُمْ قَتَلَى لَهُ؟! _عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ_، وَأَشَدُّ النَّاسِ على إبليسَ هم الْعُلَمَاءُ، هم خُلَفَاءُ الرُّسُلِ، خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَرَثَتُهُ، وَحَمَلَةُ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ مَالِكٌ، قِيلَ لَهُ: لِمَنْ تَجُوزُ الْفَتَوَى؟ قَالَ: لَا تَجُوزُ الْفَتَوَى إِلَّا لِمَنْ عَلِمَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، قِيلَ لَهُ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الرَّأْيِ؟ قَالَ: لَا، اخْتَلَفَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِمَ النَّاسُخَ وَالْمَنْسُوخَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَكَذَلِكَ يُفْتَى.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_ يَحْتُنَّا على شَيْءٍ بِدَلَالَةِ مَنْطُوقِهِ، وَشَيْءٍ بِدَلَالَةِ مَفْهُومِهِ، أَمَّا دَلَالَةُ الْمَنْطُوقِ فَإِنَّهُ يَحْتُنَّا (نَحْنُ، وَإِيَّاكُمْ، مَعَاشِرَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، إِخْوَانِي الْكِرَامُ) على أَنْ نَهْتَمَّ بِهَذَا الْجَانِبِ، جَانِبِ الْأَثَارِ، آثَارِ الصَّحَابَةِ، أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَاذَا نَهْتَمُّ بِالْآثَارِ الْمَوْقُوفَاتِ؟ لِنَعْرِفَ مَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَأَجْمَعُوا فِيهِ، وَنَعْرِفَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، نَعْرِفَ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَنَعْرِفَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَإِذَا أَجْمَعُوا؛ لَمْ يَسْعَنَا مُخَالَفَتُهُمْ (هَذَا أَوَّلًا)، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ: نَظَرْنَا فِي أَيِّهِمْ قَوْلُهُ أَرْجَحُ؟ وَهُوَ الَّذِي بِجَانِبِهِ الدَّلِيلُ.

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ _كَمَا تَعْرِفُونَ_ أَصُولُهُ مَبْنِيَّةٌ على هذا الْبَابِ بِنَاءً شَدِيدَ الْمُرَاعَاةِ، يَنْظُرُ إلى فَتَوَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَيَنْظُرُ إلى أَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ _رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، فَلِذَلِكَ كَانَ فِقْهُهُ دَقِيقًا، وَأَفْتَى فِي سِتِّينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ (كَمَا يُقَالُ): بِحَدَّثْنَا وَأَخْبَرْنَا! فَلَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي أَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ.

معنى ذلك: أنك لابد أن تنظر فيم؟ في الكتب التي تهتم بأثار الصحابة الواردة في هذا الباب، في باب الفقه، باب الأحكام.

ونحن أيضًا في هذا الوقت من فضل الله جلَّ وعلاً ومنه وكرمه بدأت تطلع كتب كثيرة في هذا الباب، فعلى طالب العلم علينا جميعاً (أنا أعد نفسي منكم)؛ علينا أن نعتني بهذا الجانب، ننظر؛ لأنك إذا قلت: الدليل كذا (تمام؟)، ثم سلطنا مسلك كتابين مشهورين عندنا في الفقه المذهبي: (كتاب المغني وكتاب المجموع)، بعد أن تقول: دليل كذا من القرآن، من السنة، تقول: وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، و... و... و...، وتعد من الصحابة، هذا ما هو موجود في هذه الكتب ولا لأ؟

فحينما تجد جلَّ الصحابة معك في هذه المسألة؛ ما أبرد ما يكون على قلبك، إذا وجدت الخلاف؛ نظرت فيه، فالجانب الذي فيه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (كبار فقهاء الصحابة)؛ هذا تأنس إليه، وهكذا، فإذن لابد من القراءة في هذا الباب.

وليُعلم أن اليوم شيئاً وغداً مثله من نخب العلم التي تلتقط، والإنسان يحصل قليلاً، قليلاً، وبإذن الله جلَّ وعلاً مع الصبر، والعمر (طول العمر)، والوقت، والاجتهاد؛ يحصل من غير ما مشقة على نفسه، فإذا أجهدنا انقطع، المهم أنه يشرع في هذا، ويستمر فيه.

وهذه الكتب (كما ذكرت، التي أشرنا إليها) الآن متوافرة، الكتب التي اهتمت بأثار الصحابة في الفقه هذه كتب نافعة جداً، فكون جامعياً تعنوا وتعبدوا وجرّدوا المصنفات الكبيرة والجوامع والموطّات والسُننَ والمسانيدَ وأخرجوا لنا هذه، وبوبوها؛ هذا عملٌ يُشكرون عليه، فما بقي لنا إلا أن ندخل هذه الجنان، وهذه الرياض، فنقتطف من ثمارها.

الشَّيْءُ الْآخِرُ أَنَّهُ لَا بَدَ لَنَا _مَعَشَرَ الْأَحْبَةِ_ مِنْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ فِي نَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ، وَلَوْ مُخْتَصَرًا.

الشَّيْءُ الثَّلَاثُ: هَكَذَا فِي نَاسِخِ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخِهِ وَلَوْ مِثْلَ لَامِيَّةِ الْمَنْسُوخِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا قَبْلَ مُدَّةٍ فِي مَسْجِدِ بَنِي سَلَمَةَ.

فَيَحْسُنُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْرِفَ الْآيَاتِ الَّتِي نَسَخَتْ وَالتِّي نُسِخَتْ، وَيَعْرِفَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي نَسَخَتْ وَالتِّي نُسِخَتْ، مِنْ كُتُبٍ _لَوْ أَقَلُّ شَيْءٍ_ مُخْتَصَرَةٍ (بِالْإِشَارَةِ)، فَيَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَيَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَيَعْرِفُ الْحُكْمَ فَلَا يَبْنِيهِ عَلَى مَنْسُوخٍ، وَيَعْرِفُ النَّاسِخَ فَيَقُولُ بِهِ، فَلَا يَدْعُ النَّاسِخَ وَيَبْنِي عَلَى مَنْسُوخٍ، فَهَذِهِ دَلَالَاتُ الْمَنْطُوقِ.

هَذَا قَوْلُ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَقَارِنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَسَاهُلِنَا نَحْنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ صَارَ يُرْجَعُ إِلَيْهِ !!! يُرْجَعُ إِلَى فَلَانٍ وَيُرْجَعُ إِلَى فَلَانٍ !!! أَطْفَالٌ وَفَرَارِيحُ !!! وَهَكَذَا، هَكَذَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ !!!

هَذَا مَالِكٌ، مَا هُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ هَادِي، لَمْ يَقُلْهُ مُحَمَّدٌ بْنُ هَادِي، فَغَدًا يَأْتِي الْكَذَّابُونَ وَيَقُولُونَ: يَطْعَنُ !!! هَذَا كَلَامُ مَالِكٍ (مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ) وَكَلَامُ أئِمَّةِ الْإِسْلَامِ قَبْلَهُ، مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَالَ عَلَيْهِ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ، وَيُسْتَفْتَى، وَيُدْرَسَ عَلَيْهِ، وَيُقْعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، هَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَقُولَهُ.

أَمَّا مُجَرَّدُ أَنَّكَ تَأْتِي عِنْدِي أَوْ آتَيْ عِنْدَكَ (بِمُجَرَّدِ الْمَعْرِفَةِ) تُحِيلُ عَلَيَّ وَأُحِيلُ عَلَيْكَ !!! هَذَا مَا هُوَ صَحِيحٌ، لَيْسَتْ هَذِهِ النَّصِيحَةُ لِذَيْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَا لِعِبَادِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ مَا لَمْ يَكُنْ إِمَامًا فِي الْقُرْآنِ وَالْآثَارِ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْآثَارِ مَا لَمْ يَكُنْ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ.

[التعليق]: هذا هو؛ لأن كما قال الإمام أحمد، أقول: لأننا _ كما قال الإمام أحمد _ نريد الفقه؛

وهل الفقه إلا الحديث؟!

فلابد من معرفة الحديث؛ صحيحه من سقيمه، ومعرفة آثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة عنهم، فيحتمل لك الفقه.

وهذا الاعتناء من هؤلاء جميعاً وتواطؤهم على هذا القول؛ إنما هو لأجل أن الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم هم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وكانوا على الهدى المستقيم، أبر هذه الأمة قلوباً (هذه الصفة الأولى)، وأعمقها علماً، وأقلهم تكلفاً، وكانوا على الهدى المستقيم، وكانوا بعلم ينطقون، وعن بصر نافذ يكفون، إذا سكتوا ما سكتوا عجزاً، ولكن عن نور بصيرة، يعرفون ما أمامهم، فهذه الصفات الست في الصحابة رضي الله عنهم جاءت في أثر ابن مسعود، يضاف إلى ذلك ما ذكره أهل العلم ولهج به كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: هم عايشوا التنزيل، ورأوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أفصح الناس هم أفصح الناس، هم أفصح الناس، والفصيح والأفصح بينهم فرق، فإذا كانوا أفصح الناس فهم أعلم الناس بكلام من؟ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سمعوه منه وبمراده، وأعلم الناس بمراد الله جلّ وعلا في كتابه؛ لأنه أنزله بلغتهم رضي الله عنهم، وهم أنصح الناس للناس، فهذه صفات تضاف على ما سبق، فوجب أن يعتنى بآثارهم وأقوالهم رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

فإذا كان المرء كذلك فهذا هو الفقيه.

وأما مجرد النظر، ولا يعرف ماذا دلت عليه هذه النصوص؛ هذا لا يمكن أن يكون إماماً في الفقه، فهل الفقه إلا الحديث؟! لا يمكن أن يكون الفقه إلا قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم.

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأَسْ الشَّيَاطِينِ

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالْقُرْآنِ وَعَالِمًا بِالْآثَارِ وَالْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ صَاحِبَ رَأْيٍ.

فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَذِهِ وَلَا يَدْرِي الْفِقْهَ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ قَارِئٍ وَمُجَرَّدُ رَاوٍ، مُجَرَّدُ قَارِئٍ وَمُجَرَّدُ رَاوٍ، الدَّلِيلُ لَكُمْ عَلَيَّ؛ أَمَّا مُجَرَّدُ قَارِئٍ: فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَا أَقَلُّ مَا يَفْقَهُونَ فِيهِ! مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ؟ الْخَوَارِجُ، وَهَكَذَا الْحَدِيثُ، إِذَا قَرَأَ الْحَدِيثَ وَلَمْ يَفْقَهُ فِيهِ؛ كَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِقْهٌ فَهُوَ قَارِئٌ (فِي الْقُرْآنِ)، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِقْهٌ (فِي الْحَدِيثِ) فَهُوَ رَاوٍ، مُجَرَّدُ حَامِلٍ، لَهُ أَجْرُ الْحَمَلِ، وَهَذَا لَهُ أَجْرُ الْإِقْرَاءِ وَتَلْفِينِ النَّاسِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا؛ لَأُ؛ بِدَلَالَةِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، فَالْخَوَارِجُ عَمَدُوا إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْكَافِرِينَ وَنَزَلُوهَا عَلَى مَنْ؟ عَلَى الصَّحَابَةِ (أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هَلْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى فَقْهِهِمْ؟! يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ، قَالَ لَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَرَى فِيكُمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ؟! فَكَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ؟! كَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ؟! كَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ وَهُمْ تَرَكَوا الْوَاسِطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبَيْنَ مَنْ نَطَقَ بِهِ السُّنَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَإِذَا إِذَا سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ وَهُوَ يَتَّقِنُ الْقِرَاءَةَ؛ فَهَذَا قَارِئٌ، مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالْفِقْهِ، بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ، وَإِلَّا الْأَصْلُ هُوَ التَّفَقُّهُ فِي هَذَا مَعَ الْقِرَاءَةِ {كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ^(٤٩) إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ^(٥٠)، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

^{٤٩} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: "كَمَا قُلْنَا الْبَارِحَةَ".

^{٥٠} _ ص (٢٩).

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ^(٥١)، فهذا هو الفقه في دين الله تبارك وتعالى، والحديث: سَمِعْتُمُوهُ.

فَإِذَا كَانَ يَدْرِي الرَّوَايَةَ وَلَا يَفْقَهُ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ حَامِلٍ وَرَاوِيَةٍ، لَهُ أَجْرُ النَّبْلِغِ، إِذَا كَانَ يَقْرَأُ وَيُحَسِّنُ الْقِرَاءَةَ وَلَا يَفْقَهُ؛ فَهُوَ مُقْرَأٌ (أَوْ: قَارِئٌ) وَلَيْسَ بِفَقِيهٍ.

فَعِنْدَكَ قَارِئٌ، وَعِنْدَكَ رَاوٍ، وَعِنْدَكَ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ، وَعِنْدَكَ فَقِيهٌ وَغَيْرُ مُحَدِّثٍ، فَقِيهٌ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُحَدِّثٍ، لَا يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ، يَسْتَدِلُّ وَيَمْشِي، وَعِنْدَكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا أَقْلًا مَا يَكُونُ (هَذَا صَاحِبُ رَأْيٍ وَقِيَاسٍ)، وَهَذَا لَا يُهِمُّ أَنْ تَعْتَنِيَ بِآرَائِهِ وَأَقْوَالِهِ، إِنْ حَصَلَ (نَظَرْتُ فِيهَا)؛ كَانَ بِهَا.

فَالْمَعْرِفَةُ بِاخْتِلَافِ عُلَمَاءِ النُّصُوصِ عُلَمَاءِ الْوَحْيِ قُرْآنًا وَسُنَّةً، أَمَّا آرَاءُ الرِّجَالِ! الرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَكُونُ فَقِيهًا فِي الْحَادِثِ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالْمَاضِي.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا صَحِيحٌ، النَّوَزِلُ الَّتِي تَنْزِلُ لَا بَدَّ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى أَشْبَاهِهَا وَنَظَائِرِهَا، فَإِنْ وَجَدْتَ أَخَذْتَ بِمَا قِيلَ فِيهَا (وَنَظَرْتَ فِي أَحْكَامِ السَّابِقِينَ)، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِالْمَاضِي مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَأَقْوَالِ أئِمَّةِ الْهُدَى مِنَ التَّابِعِينَ، أئِمَّةِ الْحَدِيثِ، الَّتِي بَنَوْهَا عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ، وَهَذَا هُوَ الْمَاضِي (الْعِلْمُ الْمَتِينُ، الْقَدِيمُ، الْعَتِيقُ).

دَعِ عَنْكَ مَا قَالَهُ الْعَصْرِيُّ مُنْتَحِلًا... وَبِالْعَتِيقِ^(٥٢) تَمَسَّكَ قَطُّ وَاعْتَصِمَ

^{٥١} _ التوبة (١٢٢).

مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرُ ... يَجْلُو بِنُورِ هُدَاهُ كُلُّ مُنْبِهِم

فالذي لَا يَعْرِفُ الْقَدِيمَ مَا يَعْرِفُ الْحَادِثَ، كَيْفَ يُفْتِي وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا تَقَدَّمَ مَعْنَا مِنْ أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، اخْتِلَافِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْآثَارِ الْوَارِدَةِ عَنْهُمْ فِي هَذَا؟!! مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِذَاكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْجَدِيدِ، نَعَمْ.

ولهذا لَمَّا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: مَنْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ؟ صَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ؟ الْقِصَّةُ الَّتِي تَعْرِفُونَ، كُلُّهَا يَقُولُ: صَاحِبُكُمْ، قَالَ: فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَيْش؟ مَا بَقِيَ شَيْءٌ، مَا بَقِيَ إِلَّا الرَّأْيُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقْيِسُ؟!

فلا بد لك مِنْ مَعْلُومٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَالْمَعْلُومُ (كَمَا قُلْنَا) أَنْ تَعْلَمَ مَا مَضَى، تَعْلَمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاخْتِلَافَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقَدَّمَ، وَتَعْلَمَ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقَدَّمَ.

وَمِنْ أَمْتَعِ الْكُتُبِ فِي هَذَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ مَا أَعْلَمُ أَنَا فِيمَا أَعْرِفُ كِتَابٍ وَحْدَةً كَامِلَةً لَهُ نَظِيرٌ، نَعَمْ شَيْءٌ مِمَّا فِيهِ مَبْنُوثٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، لَكِنْ كِتَابٌ تَخَصَّصَ فِي هَذَا الْبَابِ؛ لَا أَعْلَمُ لَهُ نَظِيرٌ؛ كُتُبُ ابْنِ الْمُنْذِرِ، كُتُبُ ابْنِ الْمُنْذِرِ، كَالْأَوْسَطِ وَأَيْش؟ وَأَيْش؟ نَعَمْ، فَهَذِهِ الْكُتُبُ، بِالذَّاتِ الْأَوْسَطِ، أَنَا أَطْلُبُ مِنْ أَحِبَّتِي إِذَا وَجَدُوا وَقْتًا وَسَعَةً؛ يَأْخُذُ جُزْءًا مِنَ (الْمُغْنِي) وَجُزْءًا مِنَ (الْمَجْمُوعِ شَرْحِ الْمَهْدَبِ لِلنَّوَوِيِّ) وَيَأْخُذُ الَّذِي يُقَابِلُهُمَا فِي نَفْسِ الْمُبَاحِثِ مِنْ كِتَابِ أَيْش؟ ابْنُ الْمُنْذِرِ (الْأَوْسَطِ)، الْإِشْرَافُ مُخْتَصَرٌ، وَمَوْجُودُ جُزْءٍ مِنْهُ، لَيْسَ كُلُّهُ، فَيَأْخُذُ هَذَا، وَإِنْ وَجَدَ فِي الْقِطْعَةِ الْمَوْجُودَةِ مِنَ (الْإِشْرَافِ) الَّذِي هِيَ مُلَخَّصٌ؛ فَلْيَنْظُرْ فِيهِ، فَإِذَا فَرَّغَ صَاحِبُ الْمُغْنِي وَصَاحِبُ الْمَجْمُوعِ مِنْ ذِكْرِ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَجَاءَ إِلَى قَوْلٍ: وَهُوَ قَوْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، يَمْسِكُ لَهُ وَيَمْسِكُ مَعَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ، تَجِدُهُمْ يَأْخُذُونَهُ تَقْرِيبًا بِالْحَرْفِ! وَهُمْ فِي هَذَا

^{٥٢} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مفسرا: "القديم".

البَابُ عَلَى حَسَبِ مَا قَارَنْتُ لَوْلَا ابْنُ الْمُنْذِرِ مَا رَاحَا وَلَا جَاءَا، يَأْخُذُونَ عَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ كَثِيرًا، فَهَذَا مَعَ إِمَامَتِهِمَا فِي هَذَا الْبَابِ (فِي الْفِقْهِ)، وَالْمُغْنِي أَكْثَرُ فَائِدَةً؛ لِأَنَّهُ أَتَى عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ جَمِيعَهَا، فَحَفِظَ لَنَا مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمُنْذِرِ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ لَنَا مَنْ؟ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ النَّوَوِيَّ لَمْ يُكْمِلْ عَمَلَهُ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْمُغْنِي فَأَكْمَلَهُ كُلَّهُ، فَحَفِظَ لَنَا فِي الْكُتُبِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْأَبْوَابِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا النَّوَوِيُّ؛ حَفِظَ لَنَا فِي هَذَا قَدْرًا كَبِيرًا، وَرَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعًا.

فَالشَّاهِدُ: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ؛ شَفَّ هَذَيْنِ الْعَالِمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ كَأَنَّا يَعْتَمِدَانِهِ، وَيَنْظُرَانِ فِيهِ، وَيُرَاجِعَانِهِ، وَيَسْتَفِيدَانِ مِنْهُ كَثِيرًا، فَكَيْفَ بَنَّا نَحْنُ؟! فَإِذَا لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَكُونَ عَارِفِينَ بِهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَسَيَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَتَى يَسَعُ الرَّجُلُ أَنْ يُفْتِيَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْأَثَرِ، بِصِيرًا بِالرَّأْيِ.

[التَّعْلِيلُ]: (عَالِمًا بِالْأَثَرِ): بِحَيْثُ أَيش؟ يَبْنِي فَقْهَهُ عَلَى الدَّلِيلِ، وَ(بَصِيرًا بِالرَّأْيِ): يَعْرِفُ صَحِيحَ الرَّأْيِ مِنْ سَقِيمِهِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا كُنَّا نَدْعُو الرَّاَوِيَّةَ إِلَّا رَاَوِيَّةَ الشَّعْرِ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ لِلَّذِي يَرَوِي أَحَادِيثَ الْحِكْمَةِ إِلَّا عَالِمًا.

[التَّعْلِيلُ]: (الْحِكْمَةُ): يَعْنِي: السُّنَّةَ، (إِلَّا عَالِمًا): وَالْمُرَادُ بِهِ: الَّذِي رَوَى الْأَحَادِيثَ وَيَفْهَمُهَا، أَوْ يَكُونُ (عَالِمًا): بِمَعْنَى: حَافِظًا، يَكُونُ حَافِظًا، فَهُوَ عَالِمٌ بِالرَّاَوِيَّةِ وَإِنْ كَانَ فِي جَانِبِ الدَّرَايَةِ عِنْدَهُ قُصُورٌ (يَعْنِي: ضَعْفٌ) أَوْ انْعِدَامٌ؛ بِنَصِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حَامِلٌ فَقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ) وَ(حَامِلٌ فَقْهٍ إِلَى

مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ؟ فعندنا: (أَفْقَهُ وَفَقِيَهُ وَمَنْ لَيْسَ بِفَقِيهِ)، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهِمَا (بِالرَّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ)،
وَأِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالرَّوَايَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ دِرَايَةٌ.

فَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ هَذَا الَّذِي عِنْدَهُ الرَّوَايَةُ وَالِدِّرَايَةُ هُوَ الْعَالِمُ، هُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْإِخْتِلَافَ أَنْ يُفْتِيَ، وَلَا يَجُوزُ
لِمَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَقَاوِيلَ أَنْ يَقُولَ: هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ.

[التعليق]: صحيح، القسم الأول تقدّم الكلام عليه لكن الثاني، قَوْلُكَ: "هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ": "أَحَبُّ"
هَذَا بَابُ تَفْضِيلٍ، هَذَا حَبِيبٌ وَهَذَا أَحَبُّ، فَأَنْتَ إِذَا مَا كُنْتَ مَا تَعْرِفُ إِلَّا هَذِهِ الْحَبَّةَ؛ كَيْفَ تَقُولُ: (هَذَا
أَحَبُّ)؟! مَا عِنْدَكَ إِلَّا حَبَّةٌ! هِيَ مَا فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ عِنْدَكَ! فَكَيْفَ تَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ)؟!!

"أَحَبُّ" إِنَّمَا يَأْتِي إِذَا كَانَ عِنْدَكَ أَكْثَرُ مِنْ مَحْبُوبٍ، تَقُولُ: هَذَا حَبِيبٌ وَهَذَا أَحَبُّ، فَالَّذِي لَا عِلْمَ
عِنْدَهُ مَا يَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، لَأَ.

"أَحَبُّ إِلَيَّ": أَقَلُّ شَيْءٍ فِي الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ"،
تَبْغِينَ كَذَا؛ جَائِزٌ، فِي الْمُسْتَحَاضَةِ، نَعَمْ، تَبْغِينَ كَذَا؛ جَائِزٌ، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ، فَأَقَلُّ شَيْءٍ اثْنَانِ.

فَأَنْتَ تَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ) إِذَا عَرَفْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَقَاوِيلَ، أَقَلُّ شَيْءٍ اثْنَانِ، فَتَعْرِفُ وَجْهَ هَذَا،
وَوَجْهَ هَذَا، وَإِذَا رَجَحْتَ وَأَظْهَرْتَ الدَّلِيلَ عَلَى رُجْحَانِ هَذَا؛ قُلْتَ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَوْ ظَهَرَ لَكَ رُجْحَانُ
مَنْ تَقَدَّمَكَ فِي الْمَسْأَلَةِ (قَدْ بَحَثَهَا)، وَرَأَيْتَ قَوْلَهُ هُوَ الصَّوَابُ، تَقُولُ: (أَفْتَى فُلَانٌ بِكَذَا، وَفُلَانٌ بِكَذَا؛ هَذَا
أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَوْ (الْمَسْأَلَةُ فِيهَا قَوْلَانِ، كَذَا، وَكَذَا، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَمَّا الَّذِي مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ؛ هَذَا مَا يَقُولُ:
(أَحَبُّ)، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ مَنْ تَتَّبَعَ شَوَادَّ

الْحَدِيثِ، أَوْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، أَوْ حَدَّثَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

[التَّعْلِيلُ]: (لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ مَنْ تَتَّبَعَ شَوَادَّهُ): صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ مَنْ تَتَّبَعَ الشَّوَادَّ أَشْغَلَهُ ذَلِكَ

عَمَّ؟ عَنِ الْمَشْهُورِ، فَيَصِيرُ جَاهِلًا بِالَّذِي فِيهِ أَیْش؟ فِيهِ النَّفْعُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَيَتَّبِعُ الشَّادَّ فَلَا يَسْتَفِيدُ، الشَّادُّ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقَاوِيلُ الشَّادَّةُ، هَذَا ضَيِّعٌ وَقْتُهُ، مَنْ اتَّبَعَ شَادَّ الْحَدِيثِ هَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا.

(أَوْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ): هَذَا أَيْضًا مَا يَكُونُ إِمَامًا، لَا بَدَّ أَنْ يَنْتَخِبَ، إِذَا حَدَّثَ يَنْتَخِبُ، مَا يُحَدِّثُ إِلَّا بِأَصَحِّ مَا سَمِعَ، وَهَكَذَا إِذَا حَدَّثَ؛ مَا يُحَدِّثُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، إِذَا جَمَعَ وَسَمِعَ؛ يَسْمَعُ مَا شَاءَ، لَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ؛ هُوَ الدِّينُ، لَا يَرَوِي إِلَّا عَنْ مِثْلِ هَذَا، فَلَا يَرَوِي دِينَ اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ إِلَّا عَنِ الضَّابِطِينَ، يَتَسَمَّحُ فِيمَا يَجُوزُ فِيهِ التَّسَمُّحُ، أَمَّا الَّذِي لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّسَمُّحُ فَلَا، إِذَا هَذِهِ ثَلَاثَةُ جَوَانِبَ، فِيهِ الْأَوَّلُ: الْحَثُّ عَلَى حِفَاطِكَ عَلَى الْوَقْتِ، فَلَا تُذْهِبُهُ فِي اتِّبَاعِ الشَّوَادِّ مِنَ الْعِلْمِ.

وهذا نراه الآنَ عندَ بعضِ طلبَةِ الْعِلْمِ سَامَحَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، يُضَيِّعُ وَقْتَهُ فِي شَوَادِّ الْمَسَائِلِ وَغَرَائِبِ الْمَسَائِلِ وَهُوَ مَا أَتَقَنَّ أَهَمُّ أَبْوَابِ الْفِقْهِ! فَهَذَا مُصِيبَةٌ، يَضَيِّعُ عَلَيْهِ الْوَقْتُ، (أَوْ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ): كُلُّ الَّذِي يَرَوِيهِ أَوْ يَجْمَعُهُ؛ يُحَدِّثُ بِهِ وَلَا يُبَالِي!!! فَإِنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ رَبِّمَا نُسِبَ إِلَى الْكَذِبِ، يَرَوِي الْأَكَاذِيبَ وَهُوَ لَا يَدْرِي! هَذِهِ مُصِيبَةٌ أُخْرَى، وَقَدِيمًا قِيلَ: (إِذَا سَمِعْتَ فَقَمِّشْ، وَإِذَا حَدَّثْتَ فَفَتِّشْ)، يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُلْقِيَ عَلَى النَّاسِ، هَؤُلَاءِ أَمَانَةٌ فِي ذِمَّتِكَ، خُصُوصًا فِي مِثْلِ الْأَزْمَانِ الْمَتَأَخَّرَةِ الَّتِي مَا يَعْرِفُونَ فِيهَا بِالْأَسَانِيدِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَنْصَلَ لَهُ عَلَى الصَّحِيحِ، أَوْ إِذَا جَلَسْتَ فِي مَجْلِسِ دَرْسٍ أَوْ وَعَظٍ؛ لَا بَدَّ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الضَّعِيفِ إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ، أَوْ جَرَى عَلَى لِسَانِكَ، لَا بَدَّ تُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ، فَلَا يَنْخَدِعُوا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يُخَدِّعُ بِالْعَالَمِ، يَأْتِي الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ عَلَى لِسَانِهِ أَوْ الضَّعِيفُ جَدًّا وَرَبَّمَا رَوَى

”الموضوع“ وهو لا يَعْلَمُ، غَفْلَةً أَوْ سَبَقَتْ بِهِ لِسَانُهُ، أَوْ حَسَنَ الظَّنَّ بِفُلَانٍ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنَ الْعَارِفِينَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، فَيَسْتَدِلُّ بِهِ، فَالنَّاسُ يُقْلِدُونَهُ، ويقولُ: لو كان هذا الحديث ما هو عَنِ النَّبِيِّ ما قَالَهُ الشَّيْخُ فُلَانٌ؟!!! صَحَّ وَلَا لَأْ؟ فيصيرون في ذِمَّتِكَ، هذا رَدُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، إِذَا جِئْتَ إِلَيْهِ؛ تَقُولُ: هذا الحديث ضعيفٌ، قال: الشَّيْخُ فُلَانٌ يَقُولُهُ!!! طَيِّبٌ، الشَّيْخُ فُلَانٌ قَالَهُ لَأَيَّ عُدْرٍ مِنَ الْأَعْدَارِ؛ لَعَلَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مَعْدُورٌ، أَنَا مَا أَنَا مَعْدُورٌ، أَنْتَ الْآنَ الَّذِي أَنَا أَقُولُ لَكَ: هذا ضعيفٌ، مَا يَصِحُّ الْأَخْذُ بِهِ؛ مَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَحْتَجَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ الْوَاهِيَةِ.

لَكِنْ إِذَا كَانَ طَالِبَ عِلْمٍ؛ هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ، أَمَّا الْجَاهِلُ هَذَا تَتَعَبُ مَعَهُ، كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ حِينَمَا قُلْنَا لِبَعْضِهِمْ: هذا ضعيفٌ، لَا يَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، قَالَ: كَيْفَ ضَعِيفٌ وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!! يعني: مُجَرَّدُ ”قَالَ النَّبِيُّ“؛ خَلَّاصٌ صَحِيحٌ! هَذَا سَمِعْتُهُ أَنَا بِأَذْنِي، فَصَدَّقَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَظَرْتُ عَالِمًا إِلَّا غَلَبْتُهُ؛ لِأَنِّي أَنَا وَإِيَاهُ نَعْرِفُ الْبِضَاعَةَ، بِضَاعَةَ الْعِلْمِ، أَنَا وَإِيَاهُ بَيِّنْنَا قَوَاعِدَ وَأُصُولَ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، أَمَّا الْعَامِيُّ الْجَاهِلُ مَا تَسْتَطِيعُ، يَأْتِي بِكَلِمَةٍ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْأَخْذِ وَالرَّدِّ وَالْعَطَاءِ مَعَهُ؛ لِأَنَّكَ أَنْتَ فِي بَابٍ وَهُوَ فِي بَابٍ، أَنْتَ فِي وَادٍ وَهُوَ فِي وَادٍ آخَرَ، فَهَذَا لَا تَتَعَبُ نَفْسَكَ مَعَهُ، فَالسُّكُوتُ أَوْلَى، بَعْضُ النَّاسِ يَظُنُّونَ سَكَتًا عَجْزًا! لَا مَا هُوَ عَجْزٌ، تَوْفِيرًا لِلْوَقْتِ، هَذَا كَمْ سَتَجْلِسُ مَعَهُ حَتَّى تُقْنِعَهُ؟! مَا فِيهِ قَاسِمٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، هُوَ جَاهِلٌ، فِي أَحْطَ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْجَهْلِ، وَأَنْتَ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ مِنَ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْسَنُ شَيْءٍ أَنْ تَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي قَالَهَا الْعُلَمَاءُ، الْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْحُجَّةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِهَا، مَا يُخَاطَبُ بِالْحُجَّةِ؛ لِأَنَّهُ مَا يَعْرِفُ يَسْتَنْبِطُ وَلَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي مَعَكَ بِالْقَوَاعِدِ، هَذَا أَنْتَ مَا تُخَاطِبُهُ، تُعْرِضُ عَنْهُ وَبَسْ، أَخَذَ؛ كَانَ بِهَا، مَا أَخَذَ؛ هُوَ لَهُ عَقْلٌ وَاللَّهُ سَيَتَوَلَّاهُ، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْإِخْتِلَافَ فَلَا تُعَدُّهُ عَالِمًا^(٥٣)، وَعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ عُقْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اخْتِلَافَ النَّاسِ^(٥٤)، وَعَنْ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَسَلُّوهُ.

[التَّعْلِيقُ]: يعني: يَأْتِي الْأَمْرَ عَلَى عِلْمٍ؛ (يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي): بمعنى: أَنَّهُ يَأْتِي الْأَمْرَ عَلَى بَيِّنَةٍ، فَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ، اسْأَلُوهُ، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي، فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَعَلَّمُوهُ.

[التَّعْلِيقُ]: هَذَا صَحِيحٌ، هَذَا مَا تَتَعَبُّ مَعَهُ أَيْضًا، الْجَاهِلُ الْبَسِيطُ مَا تَتَعَبُّ مَعَهُ، تَقُولُ لَهُ هَذَا؛ يَقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ هَذِهِ غَايَةُ عِلْمِي، فَعَلَّمَنِي، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا فَعَلَّمَنِي، فَأَنْتَ تُعَلِّمُهُ وَتُرْسِدُهُ، هُوَ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ أَيْشٌ؟ يَجْهَلُ، فَهَذَا يُرِيحُكَ، لَكِنِ الْمَشْكَلَةُ حِينَئِذَا "لَا يَدْرِي..." الَّذِي سَيَأْتِيْنَا، هَاتِ.

[الْمَنْثَنُ]: وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَذَلِكَ عَاقِلٌ فَنَبِّهُوهُ.

[التَّعْلِيقُ]: هَذَا جَيِّدٌ، هَذَا يَدْرِي، لَكِنْ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَدْرِي أَنَّهُ أَيْشٌ؟ نَعَمْ، فَهَذَا عَاقِلٌ، هُوَ يَدْرِي وَيَعْلَمُ وَلَكِنْ لَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَهَذَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ الزَّلَّةُ فَأَنْتَ أَيْشٌ؟ تُنَبِّهُهُ، فَسُرْعَانِ مَا... وَهَذَا الَّذِي قِيلَ فِيهِ: "اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَارْجُوا فَيئَتُهُ"، قَرِيبُ الرُّجُوعِ، نَعَمْ، إِذَا نَبَّهْتَهُ وَبَيَّنْتَ لَهُ قَالَ: "أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَنَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَكَ كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ"، هَذَا يَدْرِي، فَإِذَا وَقَعَ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ يَدْرِي أَنَّهُ هُنَا أَخْطَأَ إِذَا أَبَيَّنْتَ لَهُ بِالْذَّلَالِ، نَعَمْ.

^{٥٣} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى: "تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، نَعَمْ".

^{٥٤} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى: "أَيْضًا تَقَدَّمَ، كُلُّهُ، نَعَمْ".

[الْمَنْنُ]: وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي، فَذَلِكَ مَا نَقُ فَاحْذَرُوهُ.

[التَّعْلِيلُ]: فهذه هي المصيبة، هذه هي المصيبة، الذي لا يدري ولا يدري أَنَّهُ لَا يَدْرِي.

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَسْتَ كَمَنْ دَرَى ... فَمَنْ لِي بَأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي

هذا هو، فهذا هو الجاهل المركب، هذا مصيبتك معه مصيبة، وتعبك معه تعب عظيم؛ لِأَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ لَكَ بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي، وهو في أَحْطَ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْجَهْلِ، ولكنه كما يُقَالُ: أَحْمَقُ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْبَابِ؛ الذي قال فيه:

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ تَوْمًا ... لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ

لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

فهذا الذي يكون بهذا الوصف حَقُّهُ أَشَى؟ يُحَذِّرُ، وَلَا يُرْجِعُ إِلَيْهِ، وَلَا يُؤْخَذُ عَلَيْهِ، وَلَا يُتَلَقَّى عَنْهُ، وَلَا يُقَعَّدُ إِلَيْهِ، هذا هو الجاهل جهلاً مُرَكَّباً، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ أَخَذَ بِالشَّاذِّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، هذا في مسألة الحديث، نَعَمْ، لا بد أن يختارَ في الرَّوَايَةِ، ما يأخذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ فَإِنَّ الاختيارَ في الرَّوَايَةِ، في المشايخ، في الشُّيُوخِ؛ هذا مِمَّا يُمدَحُ به الرَّجُلُ، وَمِمَّا يُنْتَنَى به عليه.

بَلْ تُسَلِّمُ إِلَيْهِ بِهِ الْإِمَامَةُ كَمَا قَالُوا فِي أَبِي دَاوُدَ.

بَلْ وَبِتَعَدَّى نَفْعُهُ إِلَى غَيْرِهِ، يُوثَّقُ بِهِ مَنْ رَوَى عَنْهُمْ؛ يَقُولُونَ: (رَوَى عَنْ هَذَا أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ لَا يَرَوِي إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ)؛ فَتُشَرِّجُ رِجَالُ أَبِي دَاوُدَ مَا وَجَدُوا فِي شُيُوخِهِ ضَعِيفًا، عَدَدٌ قَلِيلٌ جِدًّا مَا وَجَدُوا فِيهِمْ كَلَامًا

إِلَّا مُطْلَقَ الرِّوَايَةِ لِأَبِي دَاوُدَ عَنْهُمْ، فَصَارَتْ بَرَكَةٌ مِنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُمْ (رِوَايَتُهُ عَنْهُمْ) وَلَا لَأ؟ صَارَتْ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ... وهكذا أَمْثَالُهُ الَّذِينَ لَا يَرَوُونَ إِلَّا عَنِ الثَّقَاتِ، صَارَتْ رِوَايَتُهُمْ عَنْهُمْ بَرَكَةٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَخَيَّرُونَ فِي الشُّيُوخِ، فَالْأَخْذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ هَذَا طَعْنٌ.

والتَّحْدِيثُ أَيْضًا فِي هَذَا؛ كَذَلِكَ يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ، فَلِهَذَا كَانَ مَمْدَحَةً لِمَنْ يَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلَكَ؛ إِذَا رَوَى فَإِنَّهُ لَا يَرَوِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا (إِنَّمَا) يَرَوِي عَنِ الثَّقَاتِ الَّذِينَ يُحْتَجُّ بِهِمْ، هَذَا تُسَلِّمُ لَهُ الْإِمَامَةُ، أَمَّا غَيْرُهُ: يَبْقَى مُجَرَّدَ رَاوٍ.

وَتَعْرِفُونَ أَيْضًا الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمْ مِنْ رَجُلٍ انْتَقَدَ وَهُوَ فِي صَحِيحِهِ؟ أَصْبَحَ مُجَرَّدُ إِدْخَالِ الْبُخَارِيِّ لَهُ فِي الصَّحِيحِ بَرَكَةٌ عَلَيْهِ وَلَا لَأ؟ بَرَكَةٌ عَلَيْهِ وَلَا لَأ؟ حَتَّى جَاءَتْ عِبَارَةُ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورَةِ: (هَذَا مِنْ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ وَقَدْ جَاوَزَ الْقَنْطَرَةَ)؛ يَعْنِي: حَتَّى لَوْ تَكَلَّمْتُمْ فِيهِ؛ خَلَّاصٌ، أَصْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ أَيْش؟ مَقْبُولًا، لَمْ؟ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي كِتَابٍ مَنْ اشْتَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرْطَ الَّذِي نَعْرِفُهُ وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا، فَكَانَ بَرَكَةٌ عَلَيْهِمْ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وهذا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ التَّوْثِيقَ الضَّمْنِيَّ، يَعْنِي: مَا نَصَّ عَلَى تَوْثِيقِهِ، لَكِنْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ يَحْتَجُّ بِهِ، فَلَوْ لَمْ يَرِ هَذَا حُجَّةً وَوَجَدْنَا شَرْطَهُ أَيْضًا مُوَفَّقًا فِيهِ طَبَقَهُ؛ مَا قُبِلَ هَذَا، فَهَذَا الَّذِي يُقَالُ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ.

الَّذِي يَأْتِي فِي هَذَا الْجَانِبِ وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا؛ لَا يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ.

وَلِذَلِكَ أَخَذُوهَا فِي الْوَجْهِ الْآخَرِ طَعْنًا، قَالُوا: فَلَا يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ عِبَارَاتِ الْمُحَدِّثِينَ فِي كُتُبِ الْجَرَحِ؟! يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا، يَكُونُ رَاوِيًا؛ نَعَمْ، لَكِنْ

إِمَامًا؟! لَأَ، فَرَّقُ الْآنَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ وَبَيْنَ أَيْشٍ؟ مُجَرَّدِ الرَّوَايَةِ، ارْوَ، ارْوَ، لَكِنْ عِنْدَ التَّحْدِيثِ وَالتَّصْنِيفِ لَا تَرَوِي إِلَّا عَمَّنْ؟ عَنِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يُرَوَى عَنْهُ.

فَالشَّاهِدُ: لَا يَكُونُ فِي الْعِلْمِ إِمَامًا مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ: يَعْنِي: عَنْ كُلِّ مَنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَلَا يَكُونُ فِي الْعِلْمِ إِمَامًا أَيُّضًا مَنْ رَوَى كُلَّ مَا سَمِعَ؛ كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ أَيُّضًا فِي الْحَدِيثِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، هَذَا الْآنَ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ مِيزَانٌ، مِيزَانٌ دَقِيقٌ وَجَمِيلٌ لَنَا نَحْنُ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ مَنْ؟ مَعَ الْعُلَمَاءِ، اسْمَعُوا _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ؛ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نُقْصَانُهُ؛ ذَهَبَ فَضْلُهُ.

[التَّعْلِيلُ]: هَذَا هُوَ الْمُهْمُ، تَرِيدُونَ عَالِمًا مَا يُخْطِئُ؟! هَذَا يُمَكِّنُ؟! مَا يُمَكِّنُ، اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَمَالِكٌ: الْآنَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا تَعْرِفُ مَالِكًا، لَكِنَّ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مَا يَعْرِفُهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ وَطُلَّابُ الْعِلْمِ، هَؤُلَاءِ شَرِيحَةُ مِنَ النَّاسِ، أَمَّا مَالِكٌ يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ أئِمَّةٍ... يَكْتُبُ هَذَا: (مَا خَالَفَ فِيهِ مَالِكٌ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَرْسَلَ بِهَا نَصِيحَةً، وَمَا شَنَّ عَلَيْهِ مَالِكٌ، وَلَكِنْ مَقْصُودُنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا يُوجَدُ عَالِمٌ مَا لَهُ خَطَأٌ، مَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَيُخْطِئُ، وَهَذَا كُلُّ

الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: مَالِكُ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا مِنَّا إِلَّا رَأْدٌ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، هَذَا الْإِمَامُ مَالِكُ نَفْسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالْمِيزَانُ فِي هَذَا السَّلِيمِ: هُوَ مَا مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا فَاضِلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، عِنْدَهُ نَقْصٌ، عِنْدَهُ خَطَأٌ، فَمَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ؛ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ، هَذَا الَّذِي يَكُونُ خَطْوُهُ مَغْمُورًا فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَإِصَابَتِهِ، هَذَا خَطْوُهُ مَغْمُورٌ فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَفَضْلِهِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ.

الآن الْعَالَمُ يَزِلُّ زَلَّةً وَهُوَ عَالَمٌ مِنْ عِلْمَاءِ السُّنَّةِ، زَلَّةٌ! وَقَدْ يَكُونُ هُوَ مَعْذُورٌ فِيهَا؛ يَنْسِفُونَ بِهِ الْأَرْضَ نَسْفًا فِي هَذَا الْوَقْتِ!! وَمَنْ يَتَجَرَّأُ؟ انْظُرْ إِلَى الْمُتَجَرِّئِ وانْظُرْ إِلَى الْمُتَجَرَّأِ عَلَيْهِ؛ الْمُتَجَرَّأُ عَلَيْهِ تَسْعُونَ، وَالْمُتَجَرَّئُ عِشْرُونَ!! هَذَا سَفَهٌ.

لَكِنْ انْظُرْ لِأَبُو ثَمَانِينَ وَأَبُو سَبْعِينَ مَعَ هَذَا؛ يَقُولُ لَكَ بِهَذَا الْقَوْلِ؛ يَقُولُ لَكَ: الْعَالَمُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الزَّلَّةُ لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ، وَلَا يَغْفِرُ لَكَ؛ لِأَنَّهُ بَدَلٌ وَسَعَةٌ وَاجْتِهَادٌ، فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَأْجُورٌ، وَمَغْفُورٌ لَهُ، لَكِنْ أَنْتَ؟ لَأَنْ تَعْلَمَ خَطَاؤَهُ؛ مَا أَنْتَ مَعْذُورٌ، إِذَا زِدْتَ وَنِلْتَ مِنْهُ جَاءَتْكَ سَيِّئَةٌ أُخْرَى، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَإِذَا هَبَ لِي عَالِمًا لَا يُخْطِئُ، مَا فِيهِ عَالِمٌ إِلَّا وَيُخْطِئُ، لَكِنَّ الْمِيزَانَ هُوَ هَذَا؛ مَنْ كَانَتْ أَخْطَاؤُهُ مَغْمُورَةً فِي بَحْرِ إِصَابَتِهِ وَفَضْلِهِ وَحَسَنَاتِهِ؛ وَهَبَ هَذَا النِّقْصُ الْيَسِيرُ لِلْفَضْلِ الْكَثِيرِ.

أَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نُقْصَانُهُ؛ فَهَذَا ذَهَبَ فَضْلُهُ، فَكَيْفَ يَمُنُّ لَا فَضْلَ لَهُ!!! تَوَهُ يَحْبُو، فَرُوحٌ، فَرُوحٌ بَدَأَ يَصْبِيحُ، تَوَهُ طَلَعَ مِنَ الْبَيْضَةِ، صَوْتُهُ مَا يَصِلُ إِلَى الْجِدَارِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ!!! هَذَا حَتَّى مَا تَقُولُ: يَهَبُ هَذَا لِهَذَا مِنْهُ، مَا عِنْدَهُ إِلَّا جَانِبٌ وَاحِدٌ؛ تَتَّبِعُ الزَّلَّاتِ!!!

وهذا بلاءٌ عظيمٌ _مَعْشَرُ الْأَحِبَّةِ_، يُحْرَمُ المرءُ به بَرَكَةُ التَّحْصِيلِ، والله ما يُحْصَلُونَ عِلْمًا، والله ما يُحْصَلُ عِلْمًا مَا دَامَ يَسْلُكُ هذا الطَّرِيقَ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي إلَامٌ؟ يَأْتِي إلى النَّتِيجَةِ التي يَسْتَخْلِصُهَا؛ هذا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ... ما عَادَ فِيهِ أَحَدٌ على وَجْهِ الْأَرْضِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَيْشٌ؟ يُطْلَبُ عَلَيْهِ، إِذَا أَيْنَ يُطْلَبُ الْعِلْمُ؟! انْتَهَى، عَلَى قَوْلِ ذَلِكَ الْقَائِلِ تَهَكُّمًا، تَهَكُّمًا: إِنِّي دَخَلْتُ الْيَمْنَ (بِلَادَ الْيَمَنِ) وَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ، أَحْسَنَ مَنْ فِيهَا أَنَا!!! كُلُّ الَّذِينَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبِلَادِ الْأَصْلِيِّينَ مَا فِيهِمْ وَلَا وَاحِدٌ حَسَنٌ!!! كُلُّهُمْ قَبِيحُونَ إِلَّا حَضْرَتَهُ (هُوَ الَّذِي دَخَلَ)، هذا هو أَحْسَنُهُمْ، فهذا الذي يَنْظُرُ إلى النَّاسِ يَسْتَحِقُّ هذه المقالةَ، يَنْظُرُ إلى النَّاسِ بهذه النُّظْرَةِ يَسْتَحِقُّ مقالةَ هذا الْأَخِ الْقَائِلِ، وَأَنَا أَعْرِفُهُ، وَقَالَهَا لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَيَسْتَاهِلُونَهَا، وَيَسْتَاهِلُونَهَا، نَعَمْ.

فالشَّاهِدُ: الذي يَكُونُ عنده الْفَضْلُ الْكَثِيرُ وَالْخَيْرُ الْوَفِيرُ وَيُخْطِئُ أخطاءَ سِيرَةٍ قَلِيلَةٍ هو مَعْدُورٌ فِيهَا؛ هذه تُغْمَرُ في بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَإِصَابَاتِهِ، فهذا الذي يُقَالُ: يُوهَبُ مِنْهُ هذا لِذَاكَ؛ كَأَخِيكَ الْفَاضِلِ الصَّالِحِ الذي آخِيَّتُهُ وَعَاشَرَتُهُ، زَلَّ زَلَّةً أَلَا تَهْبِهَا لِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ؟!!!

هَكَذَا الْعُلَمَاءُ؛ أَخْطَأَ، فَيَنْظُرُ إلى صَوَابِهِ وَفَضْلِهِ، فَإِذَا غَمَرَ؛ وَهَبَ هذا الْقَلِيلُ الذي لَا يَكَادُ يُذْكَرُ لِبَحَارِ فَضْلِهِ وَحَسَنَاتِهِ، أَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ؛ فهذا ما عنده شَيْءٌ، ذَهَبَ فَضْلُهُ كُلُّهُ.

وهذا الذي يُعْبَرُ عَنْهُ الذَّهْبِيُّ دَائِمًا: (إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ)، يَعْنِي: يُعْبَرُ بِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ مع بَعْضِ الْعُلَمَاءِ التي أُخِذَتْ عَلَيْهِمْ هِنَاةٌ، حِينَمَا يَسْتَعْرِضُ تَرْجَمَتَهُ الْجَمِيلَةَ، وَجِدَتْ عنده أخطاءٌ؛ قَالَ: مَنْ ذَا الذي يَسْلَمُ وَإِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ.

فهكذا الْعَالِمُ إِذَا ذَاعَ خَيْرُهُ وَعَمَّ نَفْعُهُ وَانْتَشَرَ في الْأَرْضِ نَفْعُهُ، هذا الذي يُقَالُ فِيهِ هذا الْقَوْلُ.

وهكذا أَخُوكَ (كما قُلْتُ لَكُمْ) ؛ أَخُوكَ الَّذِي تُؤَاخِيهِ وَتُصَافِيهِ، الدَّهْرُ كُلُّهُ مَا تَرَى مِنْهُ إِلَّا أَيْشٌ؟ كُلُّ خَيْرٍ، فَهَذَا هَفْوَةٌ، فَتُوَهَّبُ هَذِهِ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ؛ لِمَاذَا؟ لِلْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي فِيهِ، وَكُلُّ أَمْرٍ فِيهِ وَفِيهِ، فَدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَاحْمِلْ غَنَّةَ لِسْمِينِهِ؛ السَّمْنُ كُلُّهُ قَدْ اسْتَمْتَعَتْ بِهِ مِنْهُ؛ رَأَيْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ، رَأَيْتَ حُسْنَ الْعِشْرَةِ، رَأَيْتَ طَيْبَ الْمَعْشَرِ، رَأَيْتَ صِدْقَ الْكَلَامِ، رَأَيْتَ الْوَفَاءَ، رَأَيْتَ الْبَذْلَ، رَأَيْتَ السَّمَاحَةَ، رَأَيْتَ النَّدَى، رَأَيْتَ الْكَرَمَ، رَأَيْتَ الشَّجَاعَةَ، رَأَيْتَ الصِّدْقَ، رَأَيْتَ كُلَّ مَا... الْإِيثَارَ؛ فَأَخْطَأَ مَرَّةً، يَقِينًا أَخْطَأَ، أَلَا تَهَبُ هَذَا لِذَلِكَ كُلِّهِ؟! هَبْ غَنَّةَ (هَذِهِ الزَّلَّةُ) لِسْمِينِهِ (الَّذِي قَدْ ذُقْتَهُ مِنْهُ)، بِهِذَا تُسْتَدَامُ الصُّحْبَةُ مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ.

وهكذا بهذا يُحْفَظُ لِلْعُلَمَاءِ مَكَانَتُهُمْ _حَفِظَكُمْ اللهُ_، وَيَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا، وَأَنْ نَحْذَرَ مِنْ ضِدِّهِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يَسْلُمُ الْعَالِمُ مِنَ الْخَطَا، فَمَنْ أَخْطَأَ قَلِيلًا وَأَصَابَ كَثِيرًا فَهُوَ عَالِمٌ، وَمَنْ أَصَابَ قَلِيلًا وَأَخْطَأَ كَثِيرًا فَهُوَ جَاهِلٌ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيهِ مُعْلِنٍ السَّفَهَةِ.

[التَّعْلِيْقُ]: (سَفِيهِ مُعْلِنٍ السَّفَهَةِ): لَا يَسْتَحْيِي، هَذَا مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، سَفِيهِ مُعْلِنُ السَّفَهَةِ هَذَا لَا يَسْتَحْيِي، مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، فَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا عَنْ مَنْ؟ عَنْ الْعَدْلِ، وَالْعَدْلُ هُوَ مَنْ تَوَقَّرَتْ فِيهِ عَدَالَةُ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ، فَالَّذِي أَعْلَنَ السَّفَهَةَ هَذَا مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، فَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَصَاحِبُ هَوًى يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ.

[التَّعْلِيْقُ]: وهكذا صَاحِبُ الْهَوَى الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْهَوَى، إِلَى الْبِدْعَةِ، لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ عَلَى دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَّ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ.

[التَّعْلِيلُ]: انظُرُوا يَا نَاسُ، هَذَا الْآنَ فِي بَابِ الشَّرْعِ، وَلَكِنَّهُ هُوَ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ، فِي حَدِيثِ مَنْ؟ حَدِيثِ النَّاسِ، مَا هُوَ فِي الشَّرْعِ، لَكِنْ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، مَا هُوَ فِي شَرْعِ اللَّهِ؟ مَا عَرَفَ عَنْهُ الْكَذِبُ، لَكِنْ مَعْرُوفٌ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، طَيِّبٌ، هَاتِ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[التَّعْلِيلُ]: هَذَا لَا يُوْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ وَلَوْ أَعْطَوْهُ أَلْفَ شَهَادَةٍ، وَلَوْ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفَا إِجَازَةٍ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ تَرْكِيبَةٍ؛ وَهُوَ كَذَّابٌ مَا يَنْفَعُهُ، أَلْفُ شَهَادَةٍ وَأَلْفَا إِجَازَةٍ وَثَلَاثَةُ أَلْفِ تَرْكِيبَةٍ؛ مَا تَنْفَعُهُ وَهُوَ كَذَّابٌ، لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، الْكَذَّابُ لَا يُؤْمَنُ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْكَذَّابِ، فَكَيْفَ نَقَاوَةُ النَّاسِ وَهُمْ طُلَّابُ الْعِلْمِ؟! كَيْفَ يَجْلِسُونَ إِلَى الْكَذَّابِ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ الْعِلْمَ؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَدَعَ الْكَذُّوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إِنَّ الْكَذُّوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ

يقول: فَلَانُ صَاحِبٌ فَلَانٍ، هَذَا أَصْحَابُهُ الْكَذَّابُونَ، أَنْتَ أَنْتَ ثِقَّةٌ، لَكِنْ يَعْيبُونَكَ بِصُحْبَةِ الْكَذَّابِ؛ لِأَنَّهُ أَجْرَبُ فِيعْدِيكَ، (وَدَعَ الْكَذُّوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا): جَارُ: اللَّهُ يُعِينُ، اللَّهُ ابْتَلَاكَ بِهِ، لَكِنْ (صَاحِبٌ)؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ، وَ(شَيْخٌ)؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ وَمَصِيبَةٌ وَمَصِيبَةٌ، (فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ الْكَذُّوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ): لَيْش؟ لِأَنَّهُ لَيْئِمٌ، وَقَدِيمًا قَبِيلَ (صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ نَفْسُهُ يَقُولُ):

وَاحْدَرُ مُصَاحَبَةِ اللَّيِّيمِ فَإِنَّهُ^(٥٥) ... يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ

^{٥٥} __ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى منبها: "الشَّاهِدُ الْأَخِيرُ".

أَنْتَ صَاحِبُ وَهَذَا الْكَذَّابُ أَجْرَبُ؛ فَيَطِيرُ عَلَيْكَ مِنْ؟ مَنْ بَلَاءُ، فَكَيْفَ إِذَا أَخَذَتْهُ شَيْخًا لَكَ؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ، فَالْكَذَّابُ لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ، وَلَوْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ، لَوْ كَانَ أَيْشٌ؟ لَوْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ (أَكْثَرَ النَّاسِ رَوَايَةً)؛ لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ، نَعَمْ.

وَالآنَ يُشَارُ إِلَى أَقْوَامٍ؛ هَذَا يُجْلَسُ عَلَيْهِ! وَهَذَا يُجْلَسُ إِلَيْهِ! وَهَذَا ارْجِعُوا إِلَيْهِ! وَهُوَ كَذَّابٌ!!!
وَأَكَاذِبُهُمْ مَسْمُوعَةٌ وَلَا مَطْبُوعَةٌ!

(٥٦) عَامَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ بِالضَّبْطِ؛ لَمَّا مُسِكَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ، وَخُنِقَ، وَضِيقٌ عَلَيْهِ الْخِنَاقُ، فَقَالَ: (يَا نَاسُ) بَعْدَمَا قَرَّرُوهُ، قَرَّرُوهُ، تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الشُّهُودُ فِي شَأْنِ أَنْكَرِهِ، فَضَمَّهُمْ مَجْلِسٌ، اصْطَلَكَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِيهِ، فَشَهِدَ هَذَا، وَشَهِدَ هَذَا، وَشَهِدَ هَذَا، قَالَ: (يَا نَاسُ، وَإِذَا كَذَبَ مَرَّةً؛ خَلَّاصٌ يَسْقُطُ؟!) (٥٧) خَلَّاصٌ، اعْتَرَفَ بِالْكَذِبِ.

فَالشَّاهِدُ: مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، الْكَذِبُ شَيْنٌ، الْكَذِبُ... وَاللَّهُ مَا يُنَجِّي صَاحِبَهُ إِلَّا الصِّدْقُ، وَلَوْ كَانَتْ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَمَا يُنَجِّيهِ بَعْدَ تَضَرُّعِهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الصِّدْقُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْلِيهِ بِهِ وَلَوْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي الصِّدْقِ تُعَامِلُ اللَّهَ، فَإِذَا عَامَلْتَهُ بِالصِّدْقِ عَظُمَ فِي قَلْبِكَ حَتَّى هَانَ النَّاسُ أَمَامَكَ، فَلَا يُهِمُّكَ أَنْ تَقُولَ بِالصِّدْقِ فِي وَجْهِ مَنْ يَنْتَقِدُكَ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ رَافِعُكَ، وَإِنْ كَانَ فِي وَقْتِكَ قَدْ تَظَنُّ أَنَّكَ يَخْفِضُكَ، وَأَعْظَمَ دَلِيلٍ عَلَى هَذَا عِنْدَنَا نَحْنُ مَوْقِفُ عَظِيمٍ مِنْ عَظِيمٍ أَمَامَ أَعْظَمِ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً؛ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ مَنْ؟ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ: لَوْ وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنَ الْمُلُوكِ لَرَأَيْتُ أَنِّي سَاحِرُجٌّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ يَقُولُ: إِنَّ أَنَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا وَأَنَا فِيهِ كَاذِبٌ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ

٥٦ _ هنا في الأصل: "حتى قبل".

٥٧ _ هكذا الظاهر.

سَيَفْضَحْنِي، فقال بالصدق، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، بعدما قَالَ اللَّهُ: {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} ^(٥٨) الآية، انظُرُوا يَا إِخْوَتِي الْكَرَامُ {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ} كُلُّ الْأَرْضِ رَأَوْهَا ضَيِّقَةً، وهكذا الإنسان إذا نَزَلَ بِهِ الْهَمُّ واشْتَدَّ بِهِ الْكَرْبُ وَعَظُمَ الْغَمُّ؛ يَرَى الْأَرْضَ كُلَّهَا ضَيِّقَةً عَلَيْهِ، كما قال الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ رَحِيْبَةٌ ^(٥٩) ... عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةٌ حَابِلٍ

أَصْبَحَتْ ضَيِّقَةً عَلَيْهِ، فالصدق هو الذي يُنَجِّي صَاحِبَهُ، والكذب هو الذي يُرْدِي صَاحِبَهُ.

فاعْلَمُوا أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذَا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ أَنْ نُعَامِلَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِهِ، فإذا عَامَلْنَا اللَّهَ بِالصِّدْقِ أَظْهَرْنَا اللَّهَ رَغْمَ أَنْفٍ مَنْ يُعَادِي، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِلْجَمِيعِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَاحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ.

[التَّعْلِيلُ]: يعني: مَا هُوَ اخْتِصَاصُهُ الْعِلْمُ، اخْتِصَاصُهُ الْعِبَادَةُ، شَأْنُهُ الْعِبَادَةُ، لَا يَدْرِي الْعِلْمَ،

نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ

وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ، فَأَمَّا الْعَالِمُ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ الْخَائِفُ لِلَّهِ الْعَالِمُ بِسُنَّتِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَأَمَّا الْعَالِمُ بِاللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ الْخَائِفُ لِلَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِسُنَّتِهِ وَلَا حُدُودِهِ وَلَا فَرَائِضِهِ.

^{٥٨} _ التوبة (١١٨).

^{٥٩} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مفسراً: "يَعْنِي: وَاسِعَةٌ".

[التعليق]: يعني هذا: الأول هو العالم، والثاني هو العابد، يخاف الله، ويخشاه، ويتقيه، ولا يضيع الحدود، لكنه ليس بعالمٍ بم؟ بالسُّننِ والأحكامِ والفرائضِ، نعم.

[المتن]: **وَأَمَّا الْعَالَمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ فَذَلِكَ الْعَالَمُ بِسُنَّتِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ لَهُ.**

[التعليق]: نعوذ بالله، هذا علمُ الفاجر، عياداً بالله من ذلك، يعلم ما حرم الله، ويعلم ما أوجب الله، ولكنه لا يقوم بهذا ولا يخاف الله جلَّ وعلاً، فنعوذ بالله من ذلك كله، نعم.

وهؤلاء هم الذين أخذ العلم فقط منهم المظهر، يتكلم، ويحدث، ويعظ، ويخطب؛ وهو أبعد ما يكون عن هذا الأمر وعن هذا النهي!!! مُرتكبٌ للنهي، مُضيعٌ للأمر، عياداً بالله من ذلك، عياداً بالله من ذلك، نعم، فصار علمه وبالا عليه، نسأل الله العافية، نعم.

[المتن]: **وَعَنْ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(٢٨) قَالَ: مَنْ خَشِيَ اللَّهَ فَهُوَ عَالِمٌ ^(٢٩)، وَرَوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ بِهِ} وَكَذَلِكَ فِي مُصَحِّفِهِ ^(٣٠).**

[التعليق]: الذين يخشون الله حق خشيته هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم ورثتهم وهم العلماء؛ لأنهم أعرَفُ الناسِ بما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلذلك أشاد الله بهم، وأعلى ذكرهم في كتابه العزيز (كما سمعناه بالأمس، ولا نُطيلُ بإعادته)، نعم.

^{٢٨} _ فاطر (٢٨).

^{٢٩} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "هذا هو، نعم، تقدّم معنا هذا بالأمس".

^{٣٠} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "الله أكبر، نعم".

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشِ النَّاسُ بِهِ

مَعَهُ، وَرَجُلٌ عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشِ هُوَ بِهِ، وَرَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وَعَاشَ النَّاسُ بِهِ مَعَهُ.

[التَّعْلِيلُ]: هذا الذي اُنتَفَعَ بِالْعِلْمِ وَاُنتَفَعَ بِهِ النَّاسُ مَعَهُ، وَالْأَوَّلُ (عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ)؛ يَعْنِي:

اُنتَفَعُوا، (وَلَمْ يَعِشِ هُوَ بِهِ)؛ لَمْ يَنْتَفِعْ هُوَ بِهِ، (وَرَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ): هُوَ اُنتَفَعَ بِهِ (وَلَمْ يَعِشِ النَّاسُ بِهِ مَعَهُ)؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْهُ النَّاسُ، وَلَمْ يَنْشُرْهُ فِيهِمْ، فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ شَيْئًا، هَذَا هُوَ اُنتَفَعَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ النَّاسُ، هَذَا الْأَوَّلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا (الَّذِي عَاشَ بِعِلْمِهِ وَعَاشَ النَّاسُ مَعَهُ)؛ فَهَذَا الَّذِي عَلِمَ وَعَلَّمَ، وَاُنتَفَعَ وَنَفَعَ، وَالثَّالِثُ الَّذِي هُوَ بَيْنَهُمَا: (عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ)؛ اُنتَفَعُوا بِهِ، وَلَكِنْ هُوَ (لَمْ يَعِشِ بِهِ) وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، فَهَذَا الَّذِي لَمْ يَتَرَيَنَّ بِالْعِلْمِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْفَقِيهَةُ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(٣٣)، وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ

مُوسَى رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يَجْلِسُ إِلَى الْعَالَمِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يَأْخُذُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ لَا يَحْفَظُ شَيْئًا، وَهُوَ جَلِيسُ الْعَالَمِ، وَرَجُلٌ يَنْتَقِي وَهُوَ خَيْرُهُمْ.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا تَقَدَّمَ مَعَنَا فِي التَّحْدِيثِ، (يَأْخُذُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ): هَذَا مَا يُمَيِّزُ، مَا عِنْدَهُ نَقْدٌ، مَا

يَعْرِفُ، يَأْخُذُ الصَّحِيحَ وَالضَّعِيفَ، وَيَأْخُذُ الْمَقْبُولَ وَالْمَرْذُولَ، مَا يُمَيِّزُ، مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ، (وَرَجُلٌ لَا يَحْفَظُ شَيْئًا): مَا هُوَ عَالِمٌ، وَلَا طَالِبُ عِلْمٍ، لَكِنْ مُسْتَمِعٌ يَأْوِي إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، فَهَذَا هُوَ السَّامِعُ (الْجَلِيسُ)، وَالْعُلَمَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، مِثْلُ جُلُوسِ الْعَوَامِ، الْعَوَامُ الْكِبَارُ يَجْلِسُونَ فِي حِلَقِ الْعِلْمِ، لَا يَكْتُبُ، لَا يَقْرَأُ، لَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، لَكِنْ يَحْفَظُ شَيْئًا، يَفْهَمُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ إِلَّا بِبَرَكَهٍ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْرَ، فَيَأْوِي إِلَيْهِمْ، فَهَمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، وَيُغْفَرُ لَهُ مَعَهُمْ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَكَاتِ عَلَيْهِ، أَمَّا الثَّالِثُ فَهَذَا الَّذِي (يَنْتَقِي وَهُوَ خَيْرُهُمْ): يَسْمَعُ وَيُمَيِّزُ فَيَأْخُذُ الصَّحِيحَ وَالْحَسَنَ فَيُرْوِيهِ

^{٣٣} _ هَذَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "تَقَدَّمَ مَعَنَا، نَعَمْ".

وَأَحْسَنَ مَا يَسْمَعُ، يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ يُفْتَشُّ، ثُمَّ يُحَدِّثُ بِأَحْسَنِ مَا سَمِعَ، فِهَذَا هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ خَيْرُ
الثَّلَاثَةِ، نَعَمْ.

[الْمَنْتَنُ]: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِذَا كَانَ عِلْمُ الرَّجُلِ حِجَارِيًّا، وَخُلُقُهُ عِرَاقِيًّا، وَطَاعَتُهُ شَامِيَّةً يَعْنِي أَنَّهُ

الرَّجُلُ.

[التَّعْلِيْقُ]: يَعْنِي: جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأُمُورِ، الْعِبَادَةِ انْتَشَرَتْ هُنَا، وَحُسْنُ الْأَخْلَاقِ وَالرَّقَّةُ
انْتَشَرَتْ هُنَا، وَالْعِلْمُ وَبَثُّ السُّنَّةِ انْتَشَرَتْ هُنَا؛ هَذَا الْمَقْصُودُ بِهِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ الْأَوَّلِينَ مَا عَنْدهُمْ
أَخْلَاقٌ، وَلَا أَنَّ الثَّانِيَةَ مَا عَنْدهُمْ عِلْمٌ، وَلَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ عَنْدهُ عِبَادَةٌ، وَلَا عَنْدهُ خُلُقٌ وَلَا عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا اشْتَهَرَ
فِي كَذَا... فَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِلْمُ وَالْخُلُقُ وَالْأَدَبُ وَالْعِبَادَةُ؛ فِهَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ: (الرَّجُلُ)، نَعَمْ.

[الْمَنْتَنُ]: وَعَنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يَجْلِسُ إِلَى الْعَالَمِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يَكْتُبُ كُلُّ مَا يَسْمَعُ فَذَلِكَ

كَحَاطِبٍ لَيْلٍ^(٦٤)، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ فَقَهُ الرَّجُلِ حِجَارِيًّا، وَأَدَبُهُ عِرَاقِيًّا فَقَدْ كَمَلَ، إِلَى هُنَا
انْتَهَى حَدِيثُهُ لَمْ يَقُلْ: وَطَاعَتُهُ شَامِيَّةً.

[التَّعْلِيْقُ]: وَالْمَرَادُ بِهَذَا (كَمَا قُلْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ): اجْتِمَاعُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَيَكُونُ مَعَ الْفَقْهِ الْأَدَبُ
وَالْأَخْلَاقُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ تَزِينُهُ الْأَخْلَاقُ، فَهُوَ الثَّمَرَةُ الَّتِي تَكُونُ جَنِيَّةً شَهِيَّةً وَتُقْطَفُ، لَكِنَّهَا إِذَا لَمْ تَوْضَعْ
فِي إِنَاءٍ طَيِّبٍ نَظِيفٍ كَرِهَتْهَا النُّفُوسُ، وَالْإِنَاءُ الطَّيِّبُ النَّظِيفُ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يُلْقِيهَا عَلَى النَّاسِ وَيُعَلِّمُهَا
النَّاسَ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ خُلُقٍ وَدِينٍ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ _فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
ذَلِكَ_؛ يُدْبِرُ النَّاسُ عَنْهُ، فَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِمَّا عَنْدهُ، وَيَزْهَدُونَ فِي مَا عَنْدهُ؛ لِأَجْلِ مَا عَنْدهُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ،
نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

^{٦٤} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ، نَعَمْ".

وَاعْلَمُوا رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّنَا جَمِيعًا وَإِيَّاكُمْ لَا نَزَالُ بِخَيْرٍ مَا آتَانَا الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ الْمَشَايخِ، وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ الَّذِي نُحَصِّلُهُ مِنْ قَبْلِ الْأَحْدَاثِ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ كَمَا قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ _وَنَعْرِفُ هَذَا جَمِيعًا_ فِي أَحَدِ تَفْسِيرَاتِهِ لِلْأَصَاغِرِ، الشَّيْخُ زَالَتْ عَنْهُ مَتْعَةُ الشَّبَابِ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ حِدَّتُهُ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ أَيْضًا عَجَلَتُهُ وَطَيْشُهُ، وَأَيْضًا مَعَ طُولِ الْعُمُرِ وَالْمُمَارَسَةِ لِلْعِلْمِ اسْتَصْحَبَ التَّجَرُّبَةَ، وَاکْتَسَبَ الْخِبْرَةَ، فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ (عَلَى الْمَشَايخِ الْكِبَارِ فِي السَّنِّ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْعِلْمِ) لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي عِلْمِهِمْ مِنَ الشُّبُهَةِ وَالضَّعْفِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْحَدَثِ، وَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْهَوَى؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ، وَدَرَّبُوا أَنْفُسَهُمْ، وَرَوَّضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَخْذِ بِالسُّنَنِ، وَعَرَكْتَهُمُ الدُّنْيَا، وَصَبَرُوا أَمَامَ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ، فَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْهَوَى، وَلَا يَمِيلُ بِهِمُ الطَّمَعُ أَيْضًا، وَأَيْضًا مَعَ هَذَا لَا يَسْتَزِلُّهُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا يَسْتَزِلُّ الْحَدَّثَ النَّاشِئَ الصَّاعِدَ الْبَازِغَ، فَلَا يَسْتَزِلُّهُمْ الشَّيْطَانُ اسْتِزْلَالَ الْحَدَّثِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ رَكَدُوا وَقَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ، تَقَدَّمَ بِهِمُ السَّنُّ، وَوَطَّنَهُمُ الْعِلْمُ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، فَتَجِدُهُمْ مُجْتَهِدِينَ فِيمَا يُصْلِحُ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَكَأَنَّهُمْ الْآنَ يَمُوتُونَ، فَتَجِدُ الصَّلَاحَ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ وَأَظْهَرَ، فَتَجِدُ مَعَ سِنِّهِمْ هَذَا الْمُتَقَدَّمَ وَمُعَالَجَتَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَمُجَاهَدَتَهُمْ لَهَا هَذِهِ الَّتِي ذَكَرْنَا؛ تَجِدُ يَظْهَرُ عَلَيْهِمُ الْوَقَارُ، وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْوَقَارُ بَدَتْ الْجَلَالَةُ، وَإِذَا بَدَا الْوَقَارُ وَالْجَلَالَةُ اكْتَسَبُوا فِي قُلُوبِ النَّاسِ الْهَيْبَةَ، الْهَيْبَةُ الَّتِي بِسَبَبِ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ.

وَأَمَّا الْحَدَّثُ الَّذِي يَطْلُعُ الْآنَ! فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. فَلِهَذَا أَوْصِي نَفْسِي وَإِخْوَتِي جَمِيعًا بِأَنْ نُرَاعِيَ فِي هَذَا الْبَابِ مَنْ نَأْخُذُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَيَنْظَرُ عَمَّنْ يُؤْخَذُ الدِّينُ، فَلَا يُؤْخَذُ الدِّينُ عَنِ الْمُتَهَوِّكِ، وَلَا عَنِ الْكَذَّابِ، وَلَا عَنِ السَّفِيهِ الْمُعْلِنِ بِسَفَاهِهِ، وَلَا عَنِ الْحَدَّثِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ كِبَرَانِهِمْ، فَإِذَا جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ صِغَارِهِمْ هَلَكُوا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

هَذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَسْتَمِيحُكُمْ اللَّيْلَةَ لِأَنِّي زِدْتُ عَلَيْكُمْ عَشْرِينَ دَقِيقَةً عَنْ وَقْتِ
الْبَارِحَةِ (تَقْرِيْبًا)، وَالْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا أَلَّا نَجْعَلَ مَجْلِسًا ثَالِثًا فِي هَذَا الْبَابِ، إِذْ حَقُّهُ هَذَانِ الْمَجْلِسَانِ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ
وَالْبَصِيرَةِ فِيهِ، وَالتَّوْبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ
إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ حُكَاَمًا وَمَحْكُومِينَ، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مَا نَزَلَ بِهَا مِنَ الضَّرِّ
وَالشَّدَّةِ وَاللَّوَاءِ، وَأَنْ يُحِلَّ مَحَلَّ ذَلِكَ كُلِّهِ الْخَيْرَ وَالسَّعَةَ وَالْبَرَكَاتِ، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٦٥).

^{٦٥} مَا كَانَ مِنْ خَطَا فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يُلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.